

## المقالة الثالثة<sup>١</sup>

### في التواني والفرق بين سيرة العابد وغيره

كما أن السيف يقطع عصب الفرس ويلقي راكبه متقنطراً هكذا عادة العزم الرديء تقطع قوة العزم وتدفعها إلي الحزن ، والحزن يبلي الواقعين فيه، من يعزم أن يمضي فيدخل مدينة بعد مسافتها خمسون غلوة فيمشي تسع وأربعين غلوة ولم يسلك الغلوة الواحدة ويقول أنه بلغها فقد خرج من عند أهله ووطنه وما وصل المدينة .

إذا جاء أحد في الساعة الحادية عشرة وأبتدأ يعكس عمله ويقتلع الغروس المنصوبة لا يأخذ أجرة لأن ربنا يسوع المسيح يقول من يصير إلي الغاية يخلص ، وأيضاً من يضع يده علي سكة الفدان ويلتفت إلي ورائه لا يستحق ملكوت السموات ، لأن امرأة لوط حين ألتقت إلي الورا صارت عمود ملح .

فلذلك كان الرسول ناسياً ما وراء ممتداً إلي قدام جارياً نحو الإشارة ، فأصبر أنت أيها الحبيب فإن هذا العالم سيعبر وشهواته تزول فأما من يعمل مشيئة الله فيبقى إلي الأبد لأننا غرباء في هذا العالم فإن عملنا ما دام لنا زمان الأفعال المرضية للرب فسنتحضر الثواب .

أقنن الصير أيها الحبيب فقد كتب بصبركم تفتنون أنفسكم . إن أنوش أَرْضِي الرب مائتي سنة بعد أن ولد ماتوشالحن ونحن تصغر أنفسنا في هذا الزمن اليسير ، أيها الحبيب قاوم الأفكار الضارة وقل مع الهاتف قد صلبت مع المسيح ولست أنا الحي بل المسيح يحيا فيّ .

ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ أم ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه ؟ فلهذا يقول حيدوا عني أيها الأشرار فأفحص وصايا إلهي . وجامع الحكمة يقول باطل الأباطيل كافة الأشياء باطلة .

بعد ذلك الثروة والشرف فلست أقرب أتعابي للباطل لئلا بعد انصرافي يرثها آخرون وأدي أنا عنها عقاباً ، لكنني أقدم أتعابي للإله الصالح الرحوم الواهب الحياة بعد الوفاة والمعد للذين يحبونه الخيرات التي لم تبصرها عين ولم تسمعها أذن ولم تخطر علي قلب إنسان .

نعم أيها الحبيب تشجع ولينأيد قلبك وأصطبر للرب فيكون منصرفك بسلامة وتعابن الصديقين هناك مستبشرين بخلصك ويستوطن هناك في حضن إبراهيم مع العازر لأنك اخترت المسكنة وصبرت علي الحزن واحتملت التعبير ولم تمقت الاستحقاق من أجل هذا يقبلونك بسرور في المساكن الأبدية حيث يهرب الحزن والوجع والتنهيد ، وهناك تعابن الحياة والنور الصادق يسوع المسيح رجاء كافة البرية فادي نفوسنا ملك الملوك ويفرح قلبك وسرورك لا ينتزعك أحد منك .

أيها الحبيب إن زهدت في العالم وصرت عابداً فتيقظ لأن حيل العدو كثيرة وإذا وجد فرصة فيخطر لك هذه الأفكار قائلاً : قد زهدت في العالم وتركت أهلك فماذا انتفعت ؟ أليست الوحوش تسكن في البرية . فأنتهره قائلاً : يلعنك الله أيها المحال فأنت تقايس الإنسان الذي صنعة الله بصورته ومثالة وتشبهه بوحش غير ناطق ولا تستقر من أن تعوج طرق الرب الممهدة .

فأما عن فرق السيرة فأسمع أولاً من أثر أن يصير عابداً فليزهد في العالم وفي مشيئاته ويأخذ صليبه ويتبع المسيح مخلصنا ، لا تخاصم ولا تلعن أحداً ولا تحلف ولا تدم أحداً ولا تتلو أقوالاً كاذبة

<sup>١</sup> كتاب: مقالات مار إفرام ملفان الكنائس السورية ومعلم الأرثوذكسيين أجمع  
وقف على طبعه أحد رهبان دير السيدة العذراء البراموس في بركة الأنبا مقاريوس  
طبع سنة ١٨٩٢

بدرابة منطق الفلسفة وهذيانها ، وإنسك ولا تباشر بطراً فيكون أصدقاؤك ملائكة الله وعدوك المحال، لا تغم فلاحاً ولا تتغطرس علي أشياء المساكين ، لا تغضب أرملة ولا تتجبر علي يتيم ، لا تهيم علي الغني ، أكتف بالحاضرات ، لا تتبغ التحيات ولا تتقيد بالاضطراب بل أشتغل بخلصك .  
لا تترفع بل واضع ذهنك بتورع ، كن وديعاً ، رتل ولا تتعب ، صلي ولا تنتزه ولا تعان بمهاول البحر في تجارات العالم ، لا تهتم أن تقتني شرفاً أرضياً ، عوض الصفارات والطبول والأغاني الموسيقية رتل للرب وصلي نح وأبك في بواطن خزائن دارك ونفسك طالباً غفران الخطايا .  
إذا صليت أبتهل عن العالم أجمع ، لا تضيف ذوي مناظر خادعة مستعزة بل ضف الرجال الروحانيين عوض لعب القمار الذي يقفر منازل ونفوس المتلاهين به ، مد يدك إلي الأشياء التي توافقك إلي أعمال وقراءة الكتب الإلهية حاوياً عدم الاهتمام بالوالدين وبالأمور الأرضية ، كرر الافتكار في مواعيد المخلص وأخف نار روجه في ذاتك وهرب الشياطين ، سر إذا جاءتك علة جسدانية لأن الإكليل قريب .

إذا جاءك الضجر توقع الصبر من الله ، إذ جاءتك خسارة أرضية تذكر يوم الوفاة كلها لأن الأشياء تبقى هنا ، إذا تأذيت من التلذذ بالألام ردد الافتكار في مرارة التعذيب ، إذا جاءك بغي ظل أناتك لأنه قد قرب من يبرر ، إذا وافتك شتائم وتعاذيب داوم علي التفكير بأنك قد قاربت آلام المخلص، إذا جاءك أستعلاء ذهن صلي الإفتكار في أنك مزعم أن تعبر في النار ، هذه مواهب النعمة للذين يخدمون الرب خدمة مستقيمة وكافة المناقب اللائقة بالقدسيين .

فأنت أيها المحال سيردك الرب خائباً من قبل حيلك الخبيثة ، نعم أيها الحبيب أسمع القائل : قاوموا المحال فيهرب منكم . يارب أعني أنا الشقي لأن مآثمي قد علت علي رأسي .  
ليرحمك الإله الرب بما أنه صالح ويحفظك ويخلصك ويبلغك إلي ملكوته ومجده فهو رجاء اليائسين .فإن له المجد إلي أبد الدهور . آمين.